## وحشة العيد في مخيم اليرموك

كنت أرى هذا الطقس كل عيد، فقد كانت مواكب الآس تمرّ من باب منزلنا الواقع على الطريق ما بين المسجد ومقبرة الشهداء. لم أسأل يوما عن العلاقة بين الشهداء وشجرة الآس أو الحمبلاس، وهي شجيرة منشؤها حوض البحر المتوسط، وتُعرف في سورية باسم آس. أما في لبنان والعراق فتعرف باسم عشبة إلياس، ويطلق عليها ريحان في المغرب، ومرسين في تركيا، وتعرف بـ(common myrtle) في الإنكليزية. أوراقها دائمة الخضرة، صغيرة، رمحية الشكل، داكنة الخضرة، وتنشر أزهارها البيضاء رائحة عطرية فوّاحة. يُشاع أن أوراق الآس مفيدة للصحة ولعلاج الحالات المصابة بالشلل، ويمكن أن تُستخدم في تطهير الجروح وتسكين الأوجاع والآلام. هل يُفسر هذا سرّ العلاقة بين الآس والشهداء. لا ندري إن كان الشهداء يحبّون هذا النوع من الشجر أم يفضلون غيره. أم أن في الآس فائدة لتسكين آلام

الأحياء وأوجاعهم أكثر من فائدته لتضميد جراح الشهداء

باهتمام شديد أمام الاتفاق الأردني

لإسرائيلي أخيرا لشراء المياه، بوصفة

قاعدة جديدة يُراد إرساؤها إقليميًا،

ليُصبح الماء، لأول مرة في تاريخُ المنطقة،

سلعة تباع وتشتري. ويذهب بعضهم

بخياله بعيدًا، مؤكدًا أن حلًا اسرائيليًا

جاهزًا للطرح في اللحظة الأخيرة في أزمة

سد النهضة، تحصل مصر بمقتضاة على

«حصتها التاريخية»، في مُقَابِل أن تصبح

معدرًا لفائض المياه الإثيوبي إلى إسرائيل

عدر خط لنقل المياه وصل بالفعل إلى

. الحانب الأخر من قناة السويس. وفي ظل

السابقة التاريخية الأردنية/ الاسرائيلية،

ربما تتحوّل إسرائيل، بالاتفاق مع

ثبوينا، إلى المُتحكّم الرئيس في سوق .

لبيع المياه تشمل الأردن وسورية والعراق،

ما برشّحها لأن تصبح المتحكم الرئيس

في حياة سكان «الشرق الأدنى» كله، «من

وحتى كتابة هذه السطور ، انتقلت

التظاهرات الغاضحة في إيران إلى

العاصمة طهران، ساخطة على الواقع

السياسي كله، ما يعني أن احتمال

أن يصبح النظام السياسي في مرمى

مطالعات تسقوطه، يسبب شيع العطش،

ليس أمرًا مستبعدًا. ولا جدوى هنا من

الشَّجَارُ بِشَأْنَ الْـوَزِنِ الْنَسْبِيِّ لَكُلِّ دَافَعُ محتمل للغضي، فالسخط قد يدفعه

الغضب أو الاحداط أو الخوف، أو خليط

من ذلك كله. والمفارقة التي تتمثل في

تردي الأوضاع المعيشية فتى عربستان

و الأحواز، مقارنة بما تقدّمه أراضيها

من موارد نفطية للاقتصاد الوطنى

الإيراني، دُرسٌ ينبغي استيعابه، فحرمانَّ

المُواطن من أن يكون له نصيب «فعلى» من

الدخل الوطني لبلاده، لا يعبأ كثيَّرًا، لا

بالأرقام والاحصاءات، ولا بالاشبادات، ولا

الشعارات، وسخطه سوف بيقي متقدًا

تحت رماد القمع، ينتظر الفرصة لينفجر.

وفي الحالة المصرية، يحمل شبح العطش

مخاطر مباشرة وغير مباشرة، يمكن أن

تمسّ عشرات الملايين مساسًا معاشرًا

أو غير مباشر. وبعد حسابات المكاسب

والخسائر، بل ربما قبلها، تظل قضية سد

النهضة لكثيرين قضية كرامة ومصدر.

وقد يلخص ذلك ما كتبه الفقيه الدستوري

والمفكر اليساري، نور فرحات، على

(فيسبوك»، يقول وآصفًا الملء الثاني لسد

النهضة: «هو أخطر حدث مؤثر تعرّضت

له حضارة مصر منذ فجر التاريخ»!

## هك أطلقت إيران «ثورات العطشّ»؟

خُلاصة الدرس الإيراني

والغضب «الافتراضيي» المصري الذي

والتقاطعات المحتملة بين العطش وأسياب لسخط الأخرى تتسم بالتعقيد، فالصراع السياسي/ المذهبي في العراق جعل ملف التردي الشديد في حال نهري دجلة والفرات خلال سنوات متتالية كما لو كان تحدّيًا مهملًا. والأمر نفسه بنطبق على لحرب الأهلية التي نجمت عن الثورة في سورية. وكلتا الدولتين فقدت جزءًا كبيرًا من مواردها المائية. وقد توقف محلّلون

## واف التميمي

لم يكن العيد لأطفال مخيم اليرموك الفلسطيني مثل أعياد غيرهم من الأطفال. تعيدني صباحات كل عيد الى أيام خلت، عندمًا كان العيد هناك يبدأ بالصلاة تليها مواكب أغصان الآس السائرة تدو مقابر الشهداء. لم يكن عيد الأطفال في المخيم يبدأ بثياب جديدة أو هدية كانت ذات يوم أمنية. لم تكن فرحة العيد تبدأ قبل زيارة مقابر الشهداء، للسلام على من قضوا نحبهم على طريق التحرير، وتعطير أضرحتهم بأغصان من الآس يانع الخضرة فواح العطر. تستيقظ شوارع المخيم صباح كل عيد مع مُواكب الآس السائرة نحو مقبرة الشهداء، بينما تردد المساجد تهاليل العيد، يجرُّ الأطفال خطاهم نصف النائمة، ويلحقون بكبار يسابقون ضوء الفجر للقاء الأحبة الشهداء. مع خيوط شمس اليوم الأول من كل عيد، تُشرق أكاليل الآس على قبور الشهداء، يتحلّق أهل الشهداء حول القبور. يشكون لمن تحت التراب سوء الحال والأحوال. سمعت مرّة أحدَهم يحسد الشهيد على رحيله المبكر والخلاص من العيشة الزفت. امراة تلبس الثوب الأسود، وتبكى بحرقة وهي تضع أكاليل الآس على قبر ابنها، وتلومه على الرحيل قبل الزواج، وتركها بلا حفيد يُسامر وحدتها الموحشة. تنثر الأمهات أغصان الآس على القبور، وترشّها بالماء البارد المعطّر بالفاتحة وما تيسر من الدعاء. لا ندري إن كانت مثل هذه الزيارات في كل عيد تُفرح الشهداء أم أنها تنغّص عليهم نعيم الحياة تحت التراب. لا تغادر الأمهات قبور الأحبّة قبل توزيع ما صنعن من كعك العيد المعجون بماء الورد. تزيح روائح الآس والكعك رائحة الموت، وتصير المقبرة ساحة عيد وحياة.

على أي حال، وَضنُّعُ أغصان الآس على قبور الشهداء ليس بالبدعة أو التقليد الطارئ، فهناك رعم إن الفراعنة عرفوا الآس، ورسموا أغصانه على جدران المقابر، محمولاً في أيدى الراقصات. كما عرف الرومان والإغريق الآس لصنع أكاليل النصر. تقول أساطير منشورة إن شجر الآس، أو الميرتل، يرمز للكرم الإلهي. وبحسب أحد التفسيرات، «عندما طُرد آدم من الجنة سمح له أن يأخذ معه القمح، والبلح، والآس، أهم الزهور العطرية». أما في الأساطير وطقوس الإغريق القدماء، فيعتبر الآس رمزاً للجمال والنقاء، وارتبط بآلهة الحب والجمال اليونانية، أفروديت، التي اختبأت تحت شجيرة الآس. ومنذ ذلك الوقت، درجت عادات ارتداء أكاليل ميرتل في حفلات الزفاف كرمز للحب بين الزوجين. أما في روما فإكليل أوراق الميرتل مقدّس، وفقاً لأرسطو، يعقد تكريماً للأبطال وصانعي آلأمجاد. منذ سنوات، تمنع حواجز القوات الروسية والسورية أهالي المخيم من الوصول إلى مقبرة الشهداء في الأعياد بذرائع أمنية. جفّ العيد ويبست مواكب الآس في شوارع مخيم اليرموك منذ غاب أهله في مقابر ومناف ومالاجئ قسرية. عيد آخر يمضي، ولا شيء يُؤنس الشهداء في مخيم اليرموك، لا آس ولا كعك ولا أمهات يرششْن الماء المعطر بالدعاء.

## ممدوح الشيخ

سواءً كان العطش وحده ما أطلق غضب المتظاهرين، أو كان شيرارة انطلاق هذا لغضبٍ وحسب، يبقى «غضب العطش» منعطفًا في تاريخ منطقةٍ يتهدد الموت بعض شعوبها. وإيران التي انطلقت فدها ول مظاهرة بسبب شحّ المياه في تاريخ المنطقة هي نفسها البلد التي انطلقت منه أول ثورة أيديولوجية حقيقية في تارىخنا لحديث. ولا تزال هذه الثورة تعتبر بداية لاضطراب الكيير المستمر من العراق إلى تونس، ومن سورية إلى السودان. المحرّك لجديد «المحتمل» للغضب، والذي قد يهدّد استقرار عدة أنظمة: نندرة موّارد المياه، وهي أزمة تمسك بخناق الأردن وفلسطن ألمحتلة وسورية والعراق ومصر والسودان. ومع إدراك المواطن لإيراني حقيقة أن دولته تحكمها بنية منية/ عسكرية قد تكون من بين الأقوى ى العالم، إلا أن خطر فقدان مصدر الدخل لرئيس بالنسبة لملايين الفلاحين، أو خطر مواحَّهة الموت عطشًا، كانا فعليًّا، كافيين لاخراج الغاضيين عن صمتهم... هذه

ُطلقته التطورات أخيَّرا في أزمَّة سدّ لنهضة يشير إلى الحقيقة نفسها: العطش يعنى الموت، وقد يُنضِجُ الغضب. ويهذا المعني، فإن الافتراضي يمكن أن يتحوّل إلى حِقيقي متعين. وقد يطلق العطش موجة غير متوقعة من إطاحة لنظم السياسية، دونما حاجةٍ إلى خطاب ثورى بالمعنى الكلاسيكي، ومن دون حاجة لى صراعات رؤى. وقياسًا على ما حدث عد انطلاق الثورة التونسية في 2010، من المتوقع أن يشهد الفضياء العام في مصر جدلًا بشأن التشابه والاختلاف بين مصر وإيران، وعن احتمال انتقال الغضب ــ«الـعدوى». وقد شبهدت الأسابيع التي نلت «ثورة الياسمين» إلحاحًا على مُقولةً: مصر لىست تونس».

# ورطة التغلب والظاهرة الاستبدادية

يرتبط فعل التغلب بتلك الرؤية السياسية في عالم المسلمين، خصوصاً في ما يتعلق بمسألة الخلافة، وضرورة نُ تَكُونَ تلك الخلافة مستندةً إلى شورى المسلمين. ويُعَدّ تغلب معاوية بن أبي سفيان على منصب الخليفة حدثاً طارئً على النظام السِياسي الإسلامي أنذاك، فقد أوجد واقعاً سياسياً حديداً، بُختلف عن أمر الخلافة الراشدة التي حازها من وصل إلى سدة الرئاسة منَّ طريق البيعة السياسية الشرعية المتعارف عليها. هذا الواقع السيّاسي المستّجد واكبه في الفكر السياسي الإسلامي اتحاه دفع بعض العلماء والمفكرين إلى القدول بأمامة المتغلب كأمر سياسي واقع لا يمكن التصدّى له أنذاك، ولا يمكرّ دفعه إلا بوجود فتنةً شديدة. إلا أنَّ هذا الاتجاه - في واقع الأمر - قد أسرف فيه عند بعض هؤلاء (وبعضهم من الفقهاء)، حينما تبنوا مجموعة من المقولات انتشرت في جنبات هذا الفكر السياسي، تقوم على قاعدة تمرير حال الاستبداد والتغاضى عن شروط العدالة. من مثل مقولات «ستون سنة بسلطان ظالم خير من ليلة بلا سلطان»، و«سلطان غُشوم خىر من فتنة تـدوم»، و«من اشتدت وطأته وحيت طاعته». كل تلك المقولات وحدت لها تسويغاً في سياقات درء الفتنة والحفاظ على استقرار الأمة،

ولم يكن يعلم هؤلاء أن هذا الاختيار

كثير من البرو باغندا الحوفاء رافقت زيارة

وزير خارجية الصين، وانغ يي، إلى دمشق

في يوم إعادة تنصيب بشار آلأسد رئيساً

للنظام السوري سبع سنوات جديدة،

وهي الأولى لمسؤول صيني رفيع منذ

اندلاع الثورة السورية في 2011، إذ جرى تصويرها في الإعلام المساند لنظام الأسد

فتحاً أستراتتحياً عظيماً، ونقطة تحول ف

حضور الصين في منطقة الشرق الأوسط

بل و«رسالة إلى واشنطن» ترسلها بكين

من دمشق! والحقيقة أن الأمر لا يحتمل

مثل هذه التوصيفات، لأن النظام السورى

بنتمى أصلاً للتحالف الروسى الصيد

الإيراني، ويتبع له، وليسَ ثمَّة إضافةً

بنطوى عليها توقيع اتفاقيات صينية

سورية ضمن إطار مبادرة الطريق والحزام

لبناء مشاريع للبنى التحتية وإعادة

إعمار المناطق المدمّرة. وليس هناك تحوّل

استراتيجي ذو قيمة في الموقف الصين

تحاه النظام الذي دعمته بكين سابقا

من دون شروط، حتى أنها استخدمت

حق النقض أربع مرات في مجلس الأمن

(بالتنسيق مع روسيا)، لحمايته مز

مساءلاتِ جَنَائيةٍ دوليةٍ بشأن جرائمه في

حق المدنيين السوريين. ولا تمثل تهنئةً

الوزير الصينى بشار الأسد بأدائه قسم

الرئاسة إضافة نوعية مقارنة بتهنئة

الرئيس الصيني، شي جينغ بيغ، الأسد

نفسه بإعادة انتخابه قبل نحو شهرين.

بذلك، لا يمكن القول إن ثمّة تقارباً صينيا

من نوع جديد مع النظام السوري، يشكّل

رسالة إلى واشتطن التي تعمل على قدم

وساق على إعادة ترتيب الشرق الأوسط

بن أفغانستان إلى شمال أفريقيا، بحيث

تتفرّغ لحرب الصين ومضايقتها، وتوفر

لنفسها أوراق ضغط جديدة على حكوما

بكين، فالنظام السوري سيكون طبعاً «فى

جيب الصين»، ما دام «في جيب بوتين»!

(بيغاسوس) الحصان المجنح

كاريكاتير

في تاريخ المسلمين عن الإسهام في تراث الظَّاهَرةُ الاستبدادية وذاكرتها، وهو أمر لا يجوز الالتفاف عليه أو التبرير له. وحين اشتدت هذه الحيرة أوقعت الفقهاء في «ورطةٍ» كان يصعب الخروج منها بحلّ حاسم للقضاء على التغلب. لذا، رأى الفقهاء الذين أجازوا إمامة المتغلب وإمارته في التغلب ضرورة ملجئة، ولم يروا فيه ضرراً. والواقع أن هذه الرؤية المبرّرة فقهياً لم تكن تتوقع أن ستحوّل التغلب من ضرورة إلى ضرر. ولم يلبث أن تحوّل الأمر من حال الضرورة الاستثنائي إلى الضرر العام الاستبدادي. وقد رأينًا مع دائرة التغلب أن القوة لم تتوقف عند المصلحة المرجوة منها، بل تحوّلت باختلاط ممارساتها وجنوح تطبيقاتها إلى ضرر جديد يكرّس الفتنة ويزيد من إراقة الدمّاء. لقد شهدنا كيف أن بعض الفقهاء تخلوا عن عديد من شروط الإمامة، وكان من بينها شرط العدالة، كما

صار الاستبداد، في هذا المقام، هو الفتنة

الحقيقية في الأمة، حينما فتحت باب

القوة والتغلب ذا الطبيعة العسكرية،

من المهم في هذا المقام أن نؤكد مسؤولية

ميراث التغلب في الممارسة السياسية

ليكون مدخلاً للوصول إلى السلطة.

تقول عبد اللطيف المتديّن في رسالته ت «إمارة التغلُّب في الفكر السياسي الإسلامي»، التي كاتت تحت إشرافً مِن الكاتب، «وقد ركزوا بالمقابل على

قد بجلب استبداداً، ولا بوقف فتنة، بل مفاهيم أخرى تتناسب مع الظروف المستجدة كمفهومي الفتنة والفسق»، و «وصلت اجتهاد اتهم إلى تجويز أشكال حديدة للسلطة، والدعوة إلى القبول بها، فمررت هذه الاجتهادات فى بداية الأمر قبول التغلب ومنحه لشّرعية إلى مرحلة أخرى قبول الإمام الفاسق ومنحه العفو». وقد كان الأصل عند الفقهاء أن الفاسق أو الظالم لا يتولّى على المسلمين ولا تستمر إمامته، لكن الخروج عليه، إذا كان سيحرّ فتنة، فمن الأولى إعمال قواعد ارتكاب أخف الضررين، والضرورات تبيح المحظورات، فقد رافقت هذه القواعد مختلف مراحل تشكل نظرية الخُلافة، وأشرفت على تحوّلها من مستوى التماسك النسبي في عهد الخلافة الراشدة إلى مستوى التَّفَكُّكُ المطلق في عهود التَّغلب. فليس من السهل التنبو بالشكل الذي كانت ستأذذه النظرية، إذا استمرّت حالة الضرورة في الازدياد، واستمر الفقهاء في الاجتهاد على هذا الطريق. ومن المؤَّسفُ حقاً أن هذا الذي الثَّدا حُوازاً واستثناءً، صار قاعدة وعرفاً مقبولاً، ولم بلحظ هو لاء أن هذا لم يكن إلا خروجاً عن مقتضى النظرية التعاقدية

للبيعة في ولاية المسلمين العامة. ولا يمكننا أن ننكر هذا الأثر في تمكين الحالة الاستبدادية، إذ تعدّدت أشكال التغلب في العصر الحديث، التي من أبرزها الاستناد إلى حال القوة في فتح الطريق إلى سلسلة من الانقلابات

هذه الانقلابات العسكرية هي التي تهدّد الاستقرار في النظم السياسية المعاصرة. ومن المهم أيضاً أن نؤكد أننا مع هذا لتقسيم للتغلّب الأصغر، والتغلّب الأكسر؛ فالتغلب الأصغر يشير إلى تعلقه تفساد الأداء السياسي والإخلال بوظائف السلطة، فيما يشيرّ الآخر إلى فساد أخلاق الذين أسندت إليهم السلطة في غياب شرط العدالة، وأين كان هذا لتّغلّب، أصغر أو أكبر، فإن ذلك كان منافياً للقواعد التأسيسية في الفقه لإسلامي، ذلك أن التولي على الرعية مُنوطُ بتُحقيق المصلحةُ، أو ما يمكن التعبير عنه بواجبات الإمام وحقوق الأمـة، وأن المصالح العامـة لا يمكن أز تقوم على قاعدةٍ من الظلم والأستبداد، فأصل الخلافة تكليف بإقامة العدل وصيانة الحقوق، وضبط الأمن، وما يقوم بتدبير الشأن العام والنهوض به، وأن المعادلة الحقيقية في هذا المقام هم العسكرية، الأمر الذي يجعلنا نؤكد التي تجمع بين ضرورة السلطة والحاجة أن التغلُّب وإقراره كان من أهم المداخل التى جعلت للانقلابات العسكرية غطاءً الملحُّة إلى الاستقرار من جانب، وضرورة في هذا المقام، وهو ما يفرض علينا أن الشرعية في الوقت ذاته، القائمة نهتم بهذه القضية والموقف منها في إطار مواجهة الاستبداد والمستبدين العدل والشورى من جانب أخر، ولا خصوصاً حكم العسكر المستند إلى حكم القوة، ذلك أن هذه الإنقلابات العسكرية

على قاعدة من الرضى وسياسات يمكن دفع ضرورة الشرعية بضرورة السلطة، ولا الاستغناء عن ضرورة السلطة عن ضرورة الشرعية. وهو أمر كفيل بسدّ كلّ منافذ الاستنداد ومحاولات تسرب الظاهرة الاستبدادية في حياة الناس، وإقرار الحالات التي تتَّعلق بالاستيلاء عُلَى السلطة بالقوة. أ

النماذج التاريخية تؤكِّد أن ظاهرة التغلب والاستبداد لم تكن إلا تدشيناً لطريق الظلم، وفتح باب الفتنة واسعاً، وإراقة الدماء، وأنهم في إطار تبنيهم ضرورة السلطة واستقرارها ضمن أفكار تتعلق بـ «الدولتية» إنما تشكل خطراً كبيراً، حينما تحاول أن تسوّغ كل مظاهر الاستبداد ضمن مقولات غير منضيطة؛ مثل «الدفاع عن هيية الدولة» و«الحفاظ على استقرارهاً»، فجوهر الدولة هو القيآم بالوظائف الأساسية التي تتعلق بعموم المواطنين وتحقيق الأمن الإنساني والقومي. أما عدم القيام بذلك، بل والقيام بضيده، ثم الحديث عن استقرار وضرورة السلطة، فهو أمر خطير لا يحقق، بأي حال، الغرض التأسيسي من ارتباط السلطة بالشرعية، والشرعية، ابتداءً، هي شرعية تنصيب، وممارسة؛ هي شرعيةً رضي، ومحصلة، هي شرعية إنجاز، ومن غير ذلك لا يمكن

للدولة، ووظائفها الجوهرية والمصلحة العامة ضمن إنجازات حقيقية.

بأي حال إلا القبول بالمعنى الحقيقى

المعارضة السورية الداخلية وسقفالحرب ومن هنا، على الذين يتبنّون هذه المقولات والممارسات ويعيدون إنتاجها في عالمنا المعاصر (رئيس الضرورة)، معتقدين أن ذلك سائع في التاريخ السياسي للمسلمين، أو التبرير للحاكم بالستخدام القوة (اضرب في المليان)، وما ترتب عليها من سياسات طغيانية، عليهم أن يفطنوا إلى أن تلك

«تجمع المعارضة الوطنية الداخلية» جسم سياسي جديد في سورية خلال شهرين، جاء بعد إعلان الجبهة الوطنية الديمقراطَّية (جود) في مايو/ أيار الماضى عن عقد مؤتمرها التأسيسي. وفي حين أن الأطراف التي أطَّلقت «جود» معروفة، وتنتمي في معظمها إلى هيئة التنسّيق الوطني، فإن الذينّ شكلوا التجمع الجديد الأسبوع المآضى اكتفوا بالإشارة إلى أنهم مجموعة من أحزاب وقوى . .. المعارضة الداخلية التي تهدف إلى «إيجاد مخرج يؤمّن بدء حوار وطني حقيقي وطرح تغيير سلمي متدرج». وما هو معلوم أن التشكيل الأول نشر برنامجة قبل إعلان التأسيس، وكان ينوي عقد مؤتمر علني في دمشق، إلا أن النظام منعه رسميا، ما أجبر المنظمين على عقده إلكترونيا، بينما لم تتسرّب معلوماتُ كافيةً عن التشكيل الثاني، وبقيت التفاصيل الخاصة به شحيحة، باستثناء ما ورد في وثيقةٍ أوليةٍ تقول إنه ولد في دمشق، وتؤكّد على «أهمية وجود معارضة · وطنية وازنة.. في وقت تتابع السلطة الاعتماد على قوة تحالفاتها الخارجية، بدلاً من الاعتماد على القوى الداخلية».

الفارق بين التشكيلين أن الأول ولد قبل انتخابات بشار الأسد لولاية جديدة، والثاني بعدها. بينما القاسم المشترك بينهما أن كلا منهما يصدر من داخل سوريةً، ويطلق على نفسه صفة «معارضة وطنية داخلية»، ويتبنّي خطابا يدعو إلى الحل السياسي، في الوقت الذي يعتقل النظام في سجونه عشرات آلاف المعارضين السياسيين منذ سنوات، إلا أن «جود « أكثر وضوحا، وهي التي عقدت مِؤتمرها تحت شعار «نحو سورية دولة مدنية ديمقراطية»، وخاصت مواجهةً من أجل ذلك، على الرغم من أن صيغة بيانها التأسيسي لم تبتعد كثيرا عن خطاب هيئة التنسيق الوطنى طوال الأعوام الماضية لجهة متابعة العمل في «سياق الحل السياسي وقرارات الشرعية الدولية»، وأن «جود ستضطلع بالعمل ـ الوطني، لبناء جبهة موسعة مفتوحة لكل القوى والشخصيات الوطنية داخل

والجديد في الأمر أنه منذ سبتمبر/ أيلول عام 2012، لم تشهد سورية مؤتمرًا يحضره ممثلون عن قوى معارضة، كما جرى في 2011 الذي شهد تشكيل هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي، وشكِّلت أكبر تنظّيم للقوى المعارضة في الداخل. وبالتالي فإن إعلان جسمين سياسيين في هذا الظرف يطرح أسئلة عديدة، بشئن هذه الخطوة وجدواها ومكانها من الوضع السوري العام الذي لا يزال يدور من حول الحرب التي يواصل النظام وحليفاه، الروس والإيرانيون، شنها ضد الشعب السوري. وكل سوَّال يطرحه المرء يلد سؤالا آخر: هل الظروف مؤاتبة لعمل سياسى معارض في سورية، وهل ما ينقص السوريين اليوم هو معارضة داخلية في ظل نَظام من هذا ألنوع، قتل قرابة مليون سوري وهجّر أكثر من نصف الشعب في الداخل والخارج، وفي حال سمح النظام بهذه المعارضة، وأفسح لها المجال للعمل، ماذا ستفعل، هل تشارك في حياة سياسية في ظل الوضع الراهن، وبأي شروط؟ أمر مفهوم أن لا تعطل المعارضة نفسها عن العمل، وأن تبقى حيةً وتوسّع من هوامش حضورها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولا يحقّ لأحد مصادرة حقّ السوريين في العمل السياسي، أو أن يملي عليهم الأسلوب المناسب للعمل، فهم من التجربة والوعى بما يكفى، وقدُّموا من التضحيات الكثير من أجل الحرية. ولكن هناك ما هو ممكن وما هو غير ممكن. والمكن الوحيد حتى اليوم في سورية هو التحرّك ضمن هامش الحرب لا الثورة. وعلى هذا الأساس، يمكن تفسير إصرار النظام على إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية من دون أي اكتراثِ بالمعارضة الدولية، وعدم الالتزام بأجندة قرار مجلس الأمن 2254، وارتكاب المجازر ضد المدنيين في محافظة إدلب.

# موسم الهجرة إلى الضياع

التاسع عشر. هاجروا إلى الأميركتين وأستراليا وأوروبا. كثيرا ما بدأوا بائعين متجوّلين، ثم تحولوا إلى رجال ونساء أعمال ناجحين، وكتَّاب وأطبَّاء بيد أن معظمهم كانوا ناجحين في

لم تكن إلا انقلاباً في عالم المعادلات

السياسية، تحاول أن تجعل القوة

أساساً للاستيلاء على السلطة، مضحية

بأصول الفكرة التعاقدية، والبيعة،

والشورى، والرضى، والاختيار، وباتت

ومهندسي طيران وأساتذة حامعات وأفَّاقين ومهرّجين ورؤساء جمهوريات، حياتهم وأعمالهم. تمثّل مرتا أندراوس حدّاد، بطلة رواية المهاجرين مطالع القرن العشرين. شابة الذي كان جزءا من سوريا إلى أميركا، على متن سفينة هائلة، فتجد زوجها

إدريس في «الحي اللاتيني». وفشل معظمهم فثى تحقيق صورة الفاتح

من دون أن يفكّر في أمر زوجته. كان أمام مرتا حــلّان: أنّ تـعود إلـى البـلاد خالية الوفاض، وهو ما كان أمرا شديد الصعوبة، يحتاج مالا وجهدا وهدر كرامةٍ، أو تبدأ حياتها من الصفر في العالم الجديد، وهو ما فعلته. انصرفت إلى حياة العمل، وكوّنت ثروة، وتزوجت مُنَ اللَّبِناني الدرزي علي جابر، زواجا مدنيا غير مسبوق، وأنجبت أربعة أبناء، ذكوراً وإناثاً، وماتت في 1973 عن ثمانين عاماً، تاركة وراءها ثروة كبيرة وأبناء رائعين. سيرة مرتا ورعبها من الكرنتينا (العزل) وكفاحها وذكاؤها وإصرارها وعملها بائعة كشّة متحوّلة، ثمّ تدرّجها حتى تكوّن ثروة ومكانة احتماعية مرموقة، ذلك ما صورته الرواية، وذلك ما يعتر عن حيل مضي

وصل الأخوان زخريا من بيت لحم لى البرازيل عام 1877. وبدأت هجرة السوريين إلى الأرجنتين عام 1876، ويلغ عددهم عام 1914، حسب إحصاءات الحكومة الرسمية، 139500 مهاجرا، ويبلغ عدد السوريين اليوم في الأرجنتين نحو 10% من مجموع السَّكان، أي حوالي ثلاثة ملايين ونصفُّ المليون إلى أربعة ملايين متحدر من أصل سوري ولبناني، ويوجدون

وفى أميركا الشمالية وصل حنا خليل مرقص عام 1851 قادمًا من فلسطين حيث شارك في معرض عالمي للتحف 1888 سافر أمين الريحاني ولحق با وَفُورَي الْمُعلُوفَ. وأسّسوا رابطة القلم،

وشبهد القرن العشرون موجات من هجرة السوريين إلى أوروبا. وكان كثرة منهم يحاولون اقتفاء أثر توفيق الحكيم فى «موسم الهجرة إلى الشمال»، وسهيلً

والتعذيب إلى حيث يبنون مستقبلا أمنا لأبنائهم، بيد أن مصيرهم كان مختلفا إلى حدّ بعيد عن مصير أسلافهم من

منَّ رمالُ متحرِّكَة بدون أي ضمَّاناتٍ حقيقية، سياسية وإجتماعية

> التذكارية في مدينة شبكاغو. وفي عام جبران خليل جبران وميخآئيل نعيمة وإيليا أبو ماضى ونسيب عريضة

بتغتر العالم بشكل متسارع، وتحدث التغيّرات في جميع الـدول والأقاليم، بما في ذلك الدول الغربية. وبينما كان المهاجرون السوريون في القرنين السابقين يجدون أمامهم عالما من الفرص المفتوحة عن طريق التعليم والعمل، وسبيلا للرعابة الاحتماعية والمساواة والحربات التي كانوا يفتقدونها في وطنهم، رمي المهاجرون في الألفية الجديدة أنفسهم في عالم

تعانى الديمقراطيات الغربية من تراجع كبير في اقتصاداتها منذ بداية الألفية، ويستطيع المراقب أنيرى تراجع الإنتاج والخدمات في الاتحاد الأوروبي، ف مقابل ارتفاع ألدين الحكومي المست والندى يتشكّل ككابوس مزعج على

باقتصادات أوروبا، منها انفصال بربطانيا عن الاتصاد (بربكسيت) وتباطؤ الإنتاج، والهجرة، والشعبوية. ومنها أيضا تغيّر المناخ وتقدّم سكاز القارة في العمر مع انخفاض نسبة الشباب، والثورة الرّقمية التي يمكن أن ترفع البطالة بين العمّال العّاديين. ثُمّ جُاءً وباء كوفيد - 19 لكي يزيد الطين بلَّة، حيث سجلت فرنسا مُثَّلا تراجعا تاريخيا بلغت نسبته 13،8% فى إجمالي ناتجها المحلى في الفصل الثّاني منّ 2020 بسبب الّحائّحة، ف

الاقتصادي الفرنسي الرُبعي. وينعكس تراجع الاقتصاد الأوروب على خدمات الرعاية الاجتماعية الن

الأندلس عن طريق الفارس الأسمر الذي يوقع السيدات البيض في غرامه من أول

تحسّس على العدو والصديق

## جمانة فرحات

عديدة هي التفاصيل التي يتم الكشف عنها تباعاً، والتي تحيط بما بات يعرف فضيحة «تحقيقات بيغاسوس». ليس مفاجئاً أن دولا تتّحسّس على مواطنيها أو مسؤولين في دول أخرى. «التجسس» مهنة قديمة، ولطالما تفننت أجهزة المخابرات في ابتكار أساليب وأدوات لتطويرها، نظراً إلى الدور الحاسم الذي يمكن أن يؤدُّيه في زمن الحرب كما في زمن السلم. الفارق اليوم أن التجسُّس لم يعد يحتاج إلى تقنيات معقدة أو أشخاص على درجة عالية من التدريب، كي لا يتم افتضاح أمرهم. يكفى امتلاك القرار السياسي - الأمني، المال، والتواصل مع شركة إسراًئىلىة مستعدّة لبيع برنامجها لمن بدفعً لها ما تُطلبه.

نظرة أوليّة وسريعة على قائمة الدول التي انخرطت في التجسّس، باستخدام برنامج بيغاسوس التابع لشركة «أن أس أَو» الإسرائيليّة، كفيلة بإظهار كيفُ يمكن أن تساهم التكنولوجيا في توسيع نطاق التجسّس من خلال الهاتف الذي يندر أن يتمكّن أي إنسان من الاستغناء عنه. وقد طوّرت الشركة تقنية تتيحُ للمستهدِف محاولة التجسّس على من يريد بخطوات بسيطة.

ولذلك ليس مفاجئاً معرفة أنه تساوى رؤساء دول وملوك ووزراء ومسؤولون سياسيون مع نشطاء وحقوقيين ومعارضين وصحافيين. وشمل التجسّس هذه المرة الذين يصنفون في خانتي الأعداء والأصدقاء. ولعل من أبرز السمات التي تربط بين الدول التي حصلت على برنامج الشركة الإسرائيلية أنها تعانى من أزمة ديمقراطية. يحرِّكها هاجس الخوف مِمّن ترى فيهم أعداء، سواء منْ داخل الدولة أو خارجها. ولعل الشرح الذي قدمه موقع «درج» اللبناني، وهو من ضمن 17 مؤسسة إعلامية في العالم، اختيرت لإنتاج تحقيقاتٍ عن الفضيحة، بشأن الفترة التي تم فيها بدء التجسس من بعض الدول ومدى ارتباط الخطوة بأزماتِ وأحداثِ سياسيةِ محدّدة، يظهر كيف أن اللايقين هو القاسم المشترك . . الآخر بين ما يمكن وصفه بـ «تحالف المتجسّسين»، إلى جانب الشعور الضمني بالعجز والشك الدائم. وهذا الوضع يفسّر، لو جزئياً، ورود أسماء مثل الرئيس . الفرنسي إيمانويل مأكرون، ومحاولة تجسّس «طرف مغربي» عليه، والاستهداف الإماراتي للرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي وأبنائه ورئيس الوزراء السابق أحمد عبيد بن دغر ووزير الخارجية الأسبق عبد الملك المخلافي، من دون أن تكون اللائحة اليمنية خالية ممن يفترض أنهم في خانة الحلفاء. تماماً مثلما يصعب تفسير التجسّس الإماراتي على وزير الدفاع اللبناني السابق إلياس بو صعب، والمحاولات التي طاولت أبرز مسؤولي الخارجية المصرية من الرياض. مع العلم أن الأخيرة نفت، على لسان مصدر، صحة استخدام البرنامج. أما الغموضّ الكبير فيتركز في المغرب بشأن الجهة التي حاولت التجسّس على الملك محمد السادس وجميع المقرّبين منه. تذكّر «تسريبات بيغاسوس» بما جرى قبل نحو عقد مع «تسريبات ويكيليكس». في حينه، أثارت الوثائق المسرّبة فضائح بالجملة في كل بلد. سارع الجميع إلى تكذّيب ما ورد فيها أو التنصّل منها، كما يجري اليوم تماماً. لكن ذلك لم يمنع تداعياتها من الظهور تباعاً، وإنْ بدرجاتٍ ولا يمكن توقع أن يكون الأمر مختلفاً هذه المرّة أيضاً، فالشركة الإسرائيلية

تخضّع لإشراف من وزارة الأمن مباشرة، ولا يمكن تخيل أن «التحقيق» الذي فتح في إسرائيل سيتسبّب لها بأزمة كبرى، إلا في حال ضغطت دول عدة. كما أن حجم الأزمات الدبلوماسية التي ستنتج عن التسريبات سيبقى رهناً بما قد يتكشف في الأيام المقبلة من تقاصيل إضافية، وبما ستظهره التحقيقات، خصوصاً في قرنسا بعد استهداف ماكرون.

أما الخلاصة الأهم فهي أنه لا أحد في مأمن من التجسِّس عليه، متى ما اتَّخذ القرار بذلك. ولا صُحة أوجود أمان رقمي باقتناء هاتف دون الآخر، أو استخدام تطبيق للمحادثة عوضاً عن آخر.



وزير الخارجية ضمن جولة شملت عدة دول في المنطقة، تضمنت، هي الأخرى، توقيع أتفاقيات ومشاريع ضمن مبادرة الطريق والحزام، بشكلٌ ينزع الفرادة عن الاتفاقيات السورية الصينية، ليس المجاملات الدبلوماسية التي تبرع فيها

الصن، ولا الاتفاقيات الاستثمارية التي وقُعت الصين اتفاقياتِ تشبهها من قبل م أبرز حلفاء واشنطن في الشرق الأوسط، . مثل مصر والسعودية والإمارات، بل في الحقيقة كيفية تعاطى الطرفين، الصيني والسوري، مع مسألة التنظيم العسكري قومية الإيغور الصينية المسلمة الموحود في سورية، الذي يعدّ خمسة الاف مقاتل يحاربون إلى جانب المعارضة السورية، بحسب تصريحات سابقة لسفير دمشق فى بكين، وينتمون للحزب الإسلامي

التركستاني الـذي يسعى إلـي فصلّ مقاطعة شينجيانغ عن الصين وتأسيس دولة تركستان الشرقية فيها. لم تـأتِ الأخـبـار علـي ذكـر هـذه المسألـا موضوعأ للحوار بين المسؤول الصينى الرفيع ونظرائه في النظام السوري، مع أن توجيه رسالةٍ ذات معنى إلى واشنطن من دمشق ينبغى أن يكون التنظيم العسكري للإيغور هو موضوعها، لا اتفاقيات الحزام والطريق، ذلك أن مساعى الولايات المتحدة الجارية حاليأ للحشد السياس والاقتصادي والعسكري ضد الصين إنمآ تتضمّن جعل منطقة شينجيانغ الُت تقع في أقصى شمال غرب الصين بمثاباً خاصرة رخوة لحكومة بكين ولهذا السبب، تتبنّى الولايات المتحدّة قَضْعة

على مدار السنوات الخمس الأخيرة. خبرة واسعّة من القتال في سورية،

وإذا لم بكن التنظيم العسكري الإيغوري قومية الإيغور باعتبارهم «أقلية دينية مضطهدة». وتخشى الصين من نوايا أميركا في توظيف الحزب الإسلامي التركستانى ومقاتليه الذين أكتسوا

ومقاتلىه

لتنفيذ عملياتٍ عسكرية على الأراضي الصينية، انطُلاقاً من أفغَّانستانً، بعد أنسحاب القوات الأميركية منها، خصوصاً أن الحزب الإيغوري يلقى دعماً ومساندة من تنظيماتِ إسلامية أفغانية، وكان قد تأسّس أصلًا في كابول عام 1993 بعد سيطرة الأصراب الاسلامية عليها عقب الحرب الطويلة مع الاحتلال

تخشى الصىن من نوایا أمیرکا في توظيف الحزب الإسلامي التركستاني

موضوعاً محورياً في زيارة الوزير الصيني، فإن الزيارة لا تضيف جديداً للموقف القائم أصلاً. والمؤكد أن الصين ذكى من أن تطرح هذا الموضوع الحساس على العلن، من خلال زيارة وزير خارحيتها، هذا فضلاً عن أن مواجهة التنظيم والحيلولة دون استخدامه ورقة ضغط في يد أميركا ليست مسألة في بد النظام السوري بالتأكيد، والأجدى ن تتخذ الصين إجراءات حاسمة على حدودها الغربية، وعلى أراضيها في مقاطعة شينجيانغ، وهذا ما فعلته تماماً

وتعليما عالياً وثقافة لا بأس بها. وفي

وائك السواح

هاجر السوريون منذ نهايات القرن

الشرعية، ابتداءُ،

وممارسة، هي

ومحصلة، هي

شرعية رضہ،

شرعية إنجاز

های شرعیت تنصیب،

ربيع جابر، «أميركا»، مسيرة السوريين تضطرٌ للسفر من قرية بتاتر في لبنان

من المهاجرين السوريين.

فى جميع مناشط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وحقِّق بعضهم مكانة كبيرة في المشهد التقافي الأميركي. «عصفور من الشرق»، والطيب صالح فيّ

الشرقى البذى يتغزو البغرب بسهولة بسبب سمرة بشرته وفحولته، ولكنهم مع ذلك أسسوا لأنفسهم أسرا وأعمالا

ثمانينات القرن الفائت، زحف سوريون كثر بعد تخرّجهم من الجامعات السورية إلى باريس للدراسة هناك والاستقرار، هربا من الاعتقال والقتل في تلك الفترة الحالكة التى وسمت معظم سنوات ذلك العقد. وفي نَّهايات القرن وبداية الألفية، بدأت موضّة الهجرة إلى كندا، وصارت الأسر الثرية تهاجر إلى كندا، لتحصل فقط على جواز السفر الكندي، وتستفيد من نظام الرعابة الاجتماعية والتعليم

ثمّ تعود لتعمل وتُثريَ وتستقرَّ في ثم جاء الإكسودوس الأكبر. مع اندلاع الثُورة السُورية في مارس/ آذار 2011، وردّ النظام الهمجي الذي أطلق الرصاص الحي منذ الأيام الأولى للانتفاضة السلمية وقتها، قبل أن يُلقى البراميل خرجت موحاتً هائلةً من السوريين إلى دول الجوار، وانتشرت منها إلى جميع أصقاع المعمورة، وبخاصة أوروبا. كان السوريون يحلمون بالفرار بأنفسهم وأولادهم من الموت والجوع والاعتقال

الحكومات الأوروبية.

وثــمُــة مـشـكـلات كـــــــرة تـــّـــكُــ أكبر انهيار منذ بدء قياس النشاطّ

تقدّمها معظم الحكومات الأوروب لمواطنيها والمقيمين على أراضيها، ه تعويض بطالة ورعاية صحية مجانية وإعانات للأسر الفقيرة. وسياسيا، هنالك تحولات سياسية

متحرّكة بدون أي ضمانات حقیقیة، ساسة واحتماعية

رمت المهاحرون

الألفية الجديدة

السوريون في

أنفسهم في

عالم من رماك

تشمل العالم الديمقراطي بأسرٍه، تتَّصف بالتقدُّم المُستمرِّ الذَّى يحقُّقه البمين المتطرّف والتبارات الشّعبوية المعادية للأجانب والملؤنين وأتباع الديانات الأخرى.

ولئن تراجع تأثير الشعبوية الأوروبية سبب هزيمة الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامت، في انتخاباتً العام الماضي، إلا أنها لا تزال متقدّمة في عدد من البلاد، فبوريس جونسون يعَّزُر موقعه في المملكة المتّحدة في ستُطُلاعات الــرأي، وتصعد أسهم الزعماء والتدارات السياسية من أقصى اليمين إلى صدارة المشهد السياسي، مع صعود فيكتور أوربان في هنغاريا وروبرت فيكو فى سلوفاكياً وياروزلاف كاتشينسكي في بولندا. وفي فرنسا، أعيد انتخاب مارين لوبآن رئيسة لحزب التجمع الوطني ليميني المتطرّف، وتستعد لخوض انتخاباتُ الرئاسة في العام المقبل. ولا

يزال حزب البديل من أجل المانيا وحركة

يغيدا في ألمانيا يحرزان مزيدا من مى هذا الجزر للأوضاع الاقتصادية السياسية والاجتماعية، جاءت هجرة لسوريين الكبرى، وهي جاءت بدون رص وبدون أفاق واسعة ولا أمال كسرة باستثناء قلّة من المجدّين أو المحظوظين، ملايين السوريين منتشرون كنجوم السماء في دول العالم المتقدّمة، حاولون تحقيق حلم قديم في حياة أفضل، ولكن معظمهم يعيش حياته في الحدود الدنيا، يعملون في المطاعم وقطاع الخدمات ومنظمات المحتمع المدنى، ولكنهم لا يتمتعون على أية حال، تسبب التراجع الاقتصادي ونمو ليمين المتطرّف وكراهية الأجانب، بالحقوق والمساواة والإحساس بالحرية التي تمتّع بها أسلافهم من المهاجرين، ناهيك بالطبع عن الحلم في إعادة فتح

(كاتب سورى في واشنطن)

# هك تنافس الصين الهيمنة العسكرية الأميركية؟

## أسامة أبو ارشيد

توقف الكاتب في مقاله الأسبوع الماضي (2021/7/16) في «العربي الجديد» عند سؤال مفاده ما إذا كان في مقدور الصين منافسة الولايات المتحدة على الهيمنة العسكرية، عالمياً، بعد عقدين ونصف العقد من الزمان، كما يتوقع بعض الخبراء، أخذين في الاعتبار مستوي ووتيرة تطور كل قوة من القوتين راهناً. وإذا كانت المعطيات القائمة تتنبأ بتجاوز الصين الولايات المتحدة اقتصادياً، بعد عقد واحد، على الرغم من الأخذ والرد في هذا السياق، وهو ما حاول مقال الأسبوع الماضي تسليط بعض الضوء عليه، فإن الهيمنة العسكرية الأميركية تبدو مسألة أكثر تعقيداً أمام بكين. وقبل الولوج إلى الموضوع ببعض إيجاز، من الضروري بمكان التنبيه هنا إلى أن أي تحليل إنما يستند إلى المعطيات والحقائق القائمة وينطلق منها. بمعنى أن تغييراً في المدخلات سيفضي إلى تغيير في المخرجات. ومن ثمَّ، إذا استُجدّت معطياتٌ جديدةُ أميركياً أو صينياً، سلباً أو إيجاباً، في سياقاتهما الداخلية، أو الجيوسياسية، أوَّ الجّيوستراتيجية، فإنَّ المُخْرَجات، بلا أدنى شك، ستتغير.

بداية، لا يوجد خلاف في أن الولايات المتحدة هي الدولة الأعظم عسكرياً على وجه البسيطة البوم. وعندما نتحدّث عن القوة العسكرية، ينبغي أن ندرك أن الحديث هنا لا يقتصُّر علَى القُّوةُ النووية فحسب، ولكنه لا يستثنيها أيضاً، إذ إنها تشمل القوة العسكرية التقليدية من أسلحة برّية وجوية وبحرية واستخباراتية وسيبرانية. وإذا كان من المجزوم به أن الأسلحة النووية هي أسلحة ردع لا أسلحة حرب، إذ إنها تضمنّ الدمار الشَّامل المتبادل بين المتحاربين، إلا أن ذلك لا ينفى حقيقة أن الولايات المتحدة تتفوّق على كل أندادها وخصومها النوويين في قدراتها في هذا المجال، كمَّا ونوعاً. أيضاً، لدى واشنطَّن أفضليةً مطلقةً في عناصر الاستراتيجية النووية، المعروفة بـ «Nuclear triad»، أو «الثالوث النووي»، والذي يتيح القدرة للدول النووية الكبرى في توزيع مخزونها من هذه الأسلحة، والقيام بردِّ نووي انتقامي، سواء برّاً أم

بحراً أم جواً، في حال تعرّضت لهجوم نووي مفاحئ بعيداً عن الخوض في كل مسألة والتفصيل فيها، فإن الولايات المتحدة تملك من عناصر القوة العسكرية مجتمعة ما لا تملكه أي دولة أخرى. وقد تجاوزت ميزانية الدفاع الأميركية المباشرة للعام الحالي 703 مليارات دولار، وهي الأعلى عالمياً، وطلبت إدارة الرئيس جو بايدن زيادتها إلى 715 مليار دولار للسنة المالية 2022. وإذا ما أخذنا ميزانية الدفاع الأميركية للعام الحالى وحدة قياس، فإنها تكون أكبر من ميزانيات الدفاع للدول التسع التالية لها مجتمعة: الصين، الهند، روسياً، بريطانيا، السعودية، ألمانيا، فرنسا، اليابان، وكوريا الحنوبية. هذه ليست سَنَّةُ استثنائية، بل الأمر كذلك منذ عقود طويلة. ومع ذلك، لا يُشبع هذا نهمَ المؤسسة العسكرية الأميركية التي لا تكف عن التفصيل، أو حتى المبالغة، في التحدّيات والتهديدات التي تواجه هيمنتها عالمياً، وذلك من أحل تسمين ميزانيتها أكثر، ومراكمة مزيد من القوة الصلبة، على حساب القوة الناعمة التى تحرص وزارات أخرى، كالخارجية، مثلاً، على الاستثمار فيها. ومن أفضل من الصين اليوم ك«بعبع» لترهيب المواطنين الأميركيين وصانعي القرار، على حد سواء، من المارد الهائل الذي بدأ ينفض غبار عقود من السيات متأهياً لمتَّافسة الولايات المتحدة أو إطاحتها عن عرش العالم؟

على سبيل المثال، وخلال زيارة له، في مارس/ أذار الماضي، إلى كل من اليابان وكوريا الجنوبية، اعتبر وزير الدفاع الأميركي، لويد أوسىتن، أن الصين تمثل «تهديداً متنّامياً». وبالتالى، يتمثل هدف الولايات المتحدة في «ضمان أن لدينا القدرات والخطط والمفاهيم العملياتية لنكون قادرين على تقديم ردع موثوق للصين أو أي طرف آخر يفكر في مواجهة الولايات المتحدة.» وفي الشهر تَفسه، حذّر القائد السابق للقواتُّ الأميركية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، الأدميرال فيليب ديفيدسون، في جلسة استماع أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأميركي، من أن الصين تزيد إنفاقها الدفاعي، وقد تغزو تايوان خَلَال سِت سنوات. أمَّا الْمرشَىح لخلافته، حينها، الأدميرال جون أكويلينو، فقد طالب

بزيادة قدرات الردع الأميركية في المحيط الهادئ، مشيرًا إلى أن ما قامت به واشنطن لردع الحسين، بما في ذلك إرسال بوارج حربية وحاملات طائرات، عبر مضيق تايوان في بحر الصين الجنوبي، لم يكن فعالاً. كما أُخبر أكويلينو اللجنة أنَّ الوجود العسكري الصينى في تأيوان سيمنح بكين نفوذاً علَى أكثر من ثلثي التجارة العالميّة التي تمر عبر الممرات البحرية بالقرب من الجزيرة. وطالب مجلس الشيوخ بتمويل مبادرة الردع الأميركية في المحيط الهادئ بالكامل، والتي تشمل قائمة بأسلحة جديدة وإجراءات دفاعية تصل قيمتها إلى 4,6 ملكارات دولار المفارقة هنا أن الصين لا تشكل تهديداً

عسكرياً حقيقياً للولايات المتحدة، اللهم إلا إذا كان الحديث عن هجوم نووي، وهو ما سيعنى دمار الصين أيضاً، وبشكل أكثر كارثية، كمّا سلف القول. وكما يشرح بعض الخبراء، تملك الولايات المتحدة ترسانة نووية تفوق نظيرتها الصينية بعشرين مرة. ويفصل بين البلدين المحيط الهادئ، وإلم اليوم لا تبدي بكين أطماعاً خارج فضائها الجيواستراتيجي، بل ولا تملك القدرة على ذلك أصلاً. ومع أن الاستثمارات العسكرية الصينية في قوتها البحرية أكبر وأخطر من أن تهملها واشنطن، إلا أنه، وحسب معض الخدراء، ثمَّة مبالغات أميركية في هذا الصدد، وذلك بغرض ابتزاز مزيد منّ الأموال. واستناداً إلى تقرير صادر عن مكتب المخابرات البحرية الأميركية، نهاية العام الماضى، فإن البحرية العسكرية الصننية كان لدتها 360 قطعة بحرية مقارنة بحوالي 300 لدى البحرية الأميركية، ما يعنى أن لدى الصين أكبر قوة بحرية عالمية اليوم. وحسب التقرير نفسه، سيكون لدى الصين في عام 400 قُطعة قتالية بحرية في العام 2025، فى حين أن الولايات المتحدة قد يكون لديها 355 حينها. كما تعكف الصبن على بناء غواصات قادرة على إطلاق صواريخ نووية،

وحاملات طائرات، وطائرات مقاتلة، وسفن هجومية برمائية، وكاسحات جليد. اللافت هنا أن الولايات المتحدة تبقى متفوّقة بفارق كبير على القوة البحرية للصين من حيث نوعية (ومستوى) قطعها البحرية وأسلحتها. وكما يشرح الخبير

تحاوزت مىزانىة الدفاع الأميركية المياشرة للعام الحالب 703 مليار حولار، وهي الأعلى عالميأ

الصىت لا تشكك تهدىدأ عسكريا حقيقبا للولايات المتحدة، اللهم إلا إذا كان الحديث عن هجوم نووری، ما سعنی دمار الصن أنضاً



الاستراتيجي الأميركي، فريد زكريا، فإن الولايات المتحدة تملك 11 حاملة طائرات نووية مقارنة بحاملتي طائرات صينية أقل تقدماً بكثير. أيضاً، لدى واشتنطن أكثر من ألفي مقاتلة حربية حديثة، مقارنة بـ 600 عند بكين. كما أن للولايات المتحدة 800 قاعدة عسكرية خارج حدودها حول العالم، في حين لا يوجد لدى الصين إلا ثلاث. وكنا أشرنا من قبل إلى المقارنات المعقودة بين الأسلحة النووية والمدرانيتين العسكريتين لدي الدولتين، حيث تبلغ الميزانية الصينية ثلث نظيرتها الأميركية، مع ضرورة عدم إغفال أن تكلفة الصناعات الصينية أقل بكثير إذا ما

قورنت بتكلفة الصناعات الأميركية. على أي حال، الأمر فيه تفاصيل كثيرة، لا يتسع لها المجال هذا، إلا أن لدى واشتنطن،

هي الأخرى، نقاط ضعف في قوتها. أولاً، هــي مستنزفة في صراعاتٍ في ساحات دولّية كثيرة، وحجم التزاماتها العالمية كبير، وهذا جزءً من حسابات إدارة بايدن في محاولات التخفف من أعداء ثانوية، كأَفَّغانستان وإيران. في المقابل، تبني بكين قوتها الحربية لتسيطر على منطقة تقع في فضّائها الجيواستراتيجي، وتحديداً بحر الصين الجنوبي، على عكس الولايات المتحدة البعيدة. وإذا كانت ستقوم حرب بين الدولتين فإن مسرحها سيكون بحر الصين الجنوبي، سواء بسبب تايوان أم الفيليبين، وترتبط هذه الأخيرة بمعاهدة دفاعية مع واشنطن. وحسب مناورات افتراضية أجرتها المؤسسة العسكرية الأميركية، ستهزم الولايات المتحدة في حرب مع الصين في بحر الصين الجنوبي، تسبب بعدها عن خطوط إمداداتها الاستراتيجية. إلا أن ما قد يعوّض نقاط الضعف الأميركية تمتّعها بقواعد وحلفاء إقليميين في المنطقة، كأستراليا والفيليين وفيتنام وتآيوان واليابان وكوريا الجنوبية والهند، وجميعها يملك قوة لا يستهان بها. ثانياً، ترتب على التصعيد الأميركي ضد روسيا والصين في أن واحد تقاربهما، وهو ما يشكّل معضلة استراتيجية للولايات المتحدة، فالحديث هنا عن قوتين عظميين. إلا أن تحالفاً شاملاً بين موسكو وبكين يبقى مستبعداً لأسباب كثيرة، ليس أقلها التنافس سن الدولتين المتجاورتين، وخشية روسيا من أن تتحوّل إلى شريك تابع للصين، على أساس حجم الاقتصاد الروسي الهامشي إذا ما قورن بنظيره الصيني. أيضاً، هناك حلف شمال الأطلسي (الناتق) الذي تستند إليه

باختصار، وكما خلص مقال الأسبوع الماضي إلى صعوبة التنبؤ بمصير المنافسة الاقتصادية بين العملاقين، فإن من الصعب التنبؤ بمصير المنافسة العسكرية بينهما، فالمتغيرات كثيرة، مع بقاء الأفضلية لواشنطن ضمن معطيات المدى المنظور. أما في ما يتعلق بسؤال أي الدولتين أفضل للعالم، بما في ذلك لنا نحن العرب، أن تسود، فقد حاول الإجابة عنه مقال الثالث من أبريل/ نيسان، 2020، بعنوان « في المفاضلة بين الصين وأميركا».

القاهرة، بحيث مثلت مسقط بؤرة جديدة

متنامية للمعارضين اليمنيين للسعودية

واشنطن في مواجهة الطرفين.

(كاتب فلسطيني في واشنطن)

# كمّاشة الجغرافيا... اليمن بين المملكة والسلطنة

## بشرم المقطري

لأسباب متباينة، حظيت نتائج القمة السعودية العُمانية، في 11 يوليو/ تموز الحارى، باهتمام المراقبين، كونها قد تشكل بداية لتطييع العلاقات بين الرياض و مسقط، إضَّافة إلَى دلالاتها السياسية التي لا تقتصر على زيارة سلطان عُمان هيثم بن طارق السعودية، وإنما توقيتها الذي تزامن مع تصدّع التحالف السعودي - الإماراتي، بحيث صعّد ذلك من حظوظ سلطنة عُمانَ حليفا محتملا قد تلجأ له السعودية في هذه المرحلة، لحلحلة تعقيدات الحرب في اليمن، وتقنين الخطر الإيراني في المنطقة، أو على الأقل، تبنّى سياسة مشتركة بين البلدين في حدَّها الأدنِّي، إلا أن أختلاَّف طبيعة النظامين أنتج، على الدوام، سياسة إقليمية متباينة في أهدافها وأغراضها، فيما بدا أن الحرب في آليمن تفرض تحدّياتها الخاصة على البلدين اللذين يتشاركان حدودا معها، بحيث يتجاوز خلافهما تحديات تأمين أمنهما القومي، إلى شكل التدخّلات التّي

تضمن لهما وضّعا مريحاً في اليمن. فى المسارات التاريخية لتصدّعات العلاقة السعودية - العُمانية، لا تقف مشكلات الجوار الجغرافي عائقاً أمام تجسير الهوّة بين البلدين، وإنما التحدّيات البينية والإقليمية التى أنتجها النظامان طيلة عقود، واختلاف طرق معالجتها، ففي حين احتفظت السعودية بسياستها الخارجية، القائمة على الدفاع عن العالم الإسلامي السُنى من مطامع إيران الشيعية، فإنّ سلطنة غُمان التي تتبنى الأسرة الحاكمة فيها المذهب الإباضي، لم تكن في مأمن من انتقال الصراع الطّائفي إلى أراضيها،ً نتيجة السياسة السعودية والإيرانية، ومن ثم انتهجت سلطنة عُمان الحياد للنجاة من أزمات المنطقة، فيما لا تستطيع السعودية، حتى الآن، الخروج من إطار التحالفات الإقليمية، لتثبيت مركزها زعيمة للعالم السني ضد عدوها التقليدي، إيـران، أو الدول الداعمة لجماعات الإسلام السياسي التي تنافسها على الزعامة الدينية، بحيث لجأت، في السنوات الأخيرة، إلى فتح جبهات خارجية لتكريس موقعها الإقليمى دولة تخوض حربا خارج حدودها لتقليم وكلاء إيران في المنطقة، فإن السياسة العُمانية ظلت منكفئة في حدودها الجغرافية،

للحيلولة دون تصدير المشكلات الخارجية إلى داخل السلطنة. ومن ثم تموضعت ألسناسة العُمانية الإقليمية على النقيض من السياسة السعوديّة، والتي بدت حاضرةَ في الملف الإيراني وكذلك الحرب في اليمن، فمن جهةٍ ظلت العلاقة العُمانية - الإيرانية عائقاً لتطبيع السعودية علاقتها مع عُمان، حيث حافظت الأخيرة على علاقتها المتميزة مع إيران، مع إفلاتها من شرك التموضع في صيغ الصراع الطائفي في المنطقة، مقابلً فشل السعودية في دفع سلطنة عُمان لتبني اصطفاف خليجي ضُد إيران، الذي كان أهم تجلياته تدخلها العسكري في اليمن، وحتى مع تخفيض السعودية عداءها مع إيران، وذلك بعد تغير سياسة واشنطن حيال طهران، فإن جهود السعودية في إيجاد سياسة خليجية موحدة حيال إُيْـرَان، وذلك باستمالة سلطنة عُمان إلى صفَّها، تصطدم بالدبلوماسية العُمانية التى حافظت على سياسة متوازنة حمتها من الصدمات الإقليمية، الأمر الذي يجعل السعودية وحيدة في صراعها مع إيران، خصوصا بعد تصدّع تحالفاتها التّقلُيدية، وإذ كانت العلاقة العُمانية - الإيرانية شكلت عامل ضغط دائم على العلاقة السعودية -العُمانية، فإن الحرب في اليمن مثلت العصب الحسّاس في هذه العلاقة، فاليمن بالنسبة لسلطنة عُمآن ليست ساحةً خلفيةً تنشط فيها إيران من خلال وكلائها المحليين، كما تصنُّفها الاستراتيجية السعودية، وإنما جبهة تهدّد أمنها القومى وقاعدة محتملة

ليطوّقها المتربصون. تحضر دروس التاريخ القريب موجها للسياسة العُمانية حيال الحرب في اليُمن، إذ أدركت السلطنة أن حدودها المشتّركة مع العمن مثلت خطراً متجدّداً لا نُصدّر المد الثوري فقط، كما حدث إبّان ثورة ظفار في سبعينيات القرن المنصرم، بل هي جبهة إسناد خلفية قد تقوّض سلطتها، ومن ثم ظُلت اليمن أكثر تأثيراً بالعمق العُماني مقارنة بالسعودية، فيما مثّلت الحدودّ اليمنية - العُمانية مجالاً حيوياً لانتقال البشر والإيديولوجيا، فضلا عن مجتمعات الحدود المتداخلة هويتها التاريخية، وولاءاتها السياسية، والتي تمثل أيضا وسيطاً لنقل مشكلات الجماعات الداخلية. ولذلك فقد مثّل اندلاع الحرب في اليمن تحدّياً خطيراً على النّظام العُماني، فمن

جهة شكل تصاعد حرب مؤقلمة على تخومها تهديداً دائماً لأمنها، بما في ذلك الضّغط على النظام العُماني، ودفعه بعيداً عن سياسته التقليدية المحافظة. ومن جهة ثانية، مثل مخاطر تقل الصراع الطائفي إلى داخُل عُمان تحدّياً آخر، وكذلَّك التداعياتُ الاقتصادية والإجتماعية المترتبة على الحرب في اليمن، وأثر ذلك على تركيبة المجتمع المعماني وتوجّهاته، فمن نواح عديدة، ومن دون أن تخوض حرباً في اليمن، كجارتها السعودية، ألقت الحرب في اليمن بتبعاتها على سلطنة عُمان، فإضاَّفة إلى نزوح المئات من اليمنيين إلى السلطنة هرباً من الحرب في بلادهم، وإن لم تكن منطقة نزوح رئيسية بالنسبة لهم نتيجة تقييد سوق العمل للعمالة الوافدة، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تنامي أعداد اللاجئين اليمنيين في أراضيهاً. كما أن انتقال العمليات القتالية إلى معظم المنافذ البرية اليمنية أدّى إلى تزايد الضغط على المنقد البري العُماني مع اليمن، بحيث أصبح الممر الأمن الوحيد بالنسبة للبمنسن سواء كبوابة للنزوح من اليمن إلى سلطنة عُمان، ومنها إلى بلدان الشتات، أو كشريان حيوي إنساني وتجاري بالنسبة لليمنيين، بحيث فرض ذلك على السلطات العُمانية تكثيف رقابتها على الحدود. ولذلك وبهدف تطويق مخاطر انتقال المشكلات المترتبة على الحرب إلى داخل حدودها، وإعفاء نفسها من تحمّل تبعات ذلك على الصعيدين، الإنساني والسياسي، تمسّكت غُمان بسياستها التقليدية بعدم الانخراط في الصراع، بحيث ظل موقفها من الحرب منَّ النقاطُ الخلافية مع السعودية، إذ إن السعودية، التي انخرطت في الحرب لدعم حليفها الرئيسَ اليمني، عبدَّ ربه منصور هادي، كانت تـرى فـي الموقـف الـعُمـانـِي

موجّها ضدها أكثر من كونه موقفًا

حياديًا، يناهض سياستها في اليمن ضد

وكيل إيران، بحيث اتهمت سلطنة عُمان

بتسهيل دخول أسلحةٍ لجماعة الحوثي،

وصعّدت من ضغوطها عليها، بحيث كثفتَ

السعودية قواتها العسكرية فى مدينة

المهرة، المدينة المتاخمة لسلطنة عُمّان، مما

في ذلك منازعتها السيادة على المنفذ البرّي

اليّمنى، ومع محاولة مسقط الّنأى بنفسهاً

عن الآنجرار في الصراع، فإن متغيرات

داخلية واقليمية دفعتها إلى خوض

لا تبدو البمن التب تعيش حربا بلا أفق يديرها وكلاء الإقليم، بأنها الضفة الآمنة التى قد ىلتقى عندها الجارات اللدودات

دعمت سلطنة عُمان تشكيك قوت قبلية محلية في مدينة المهرة معارضة للوجود السعودي، وتمويلها ماليأ واعلاميا



المستنقع اليمني، وإنْ بمستويات مختلفة. فى دول الممالكُ والمشائخ، يرسم الزعماء السياسة الداخلية والخارجية لدولهم، فمع تولى السلطان هيثم بن طارق مقاليد الحكم في سلطنة عُمان، خلفاً للسلطان قابوس، بدأً أن السياسة الإقليمية العُمانية تتجه نحو تنمية أهدافها الإقليمية، لا تطويق أو احتواء أزمات الإقليم التي اختطها قابوس عقودا، فيما شكّل تزايد التهديد القادم من اليمن دافعاً آخر لتورّطها في المسألة اليمنية، وإنْ ظلت عمان منطلقاً للدبلوماسية الدولية بشأن حل الأزمة في اليمن، حيث انتقلت مسقط من كونها عاصمة محايدة في صراعات المنطقة إلى عاصمة جديدة توجّه الصراع اليمني، مقابل الرياض - أبو ظبي- إسطنبول -

والإمارات في اليمن، وهو ما يخالف سياستها التقليدية التي تحظُر خوض المعارضين اللاجئين في الشأن السياسي. ومن جهة ثانية، بدت عُمان أكثر انفتاحاً مع الوكلاء المحليين في اليمن، إذ تبنّت سياسة تجميع المنافسين والمعارضين، كأوراق ضغط على القوى الإقليمية المتدخلة في اليمن، فإضافة إلى جماعة الحوثي التي تحتفظ سلطنة عُمان بعلاقة وثيقة معهاً، بحيث ظلت مقر الوفد المفاوض للحماعة، فقد بلورت تفاهماتٍ مع بعض قيادات الإخوان المسلمين في اليمن، والتي تعدّت استضافتها القيادي الإصلاحي في المقاومة الشعبية في مدينة تعز، الشّيخ حمود المخلافي، إلى دعمه بتشكيل قوة مسلحة في أرياق المدينة. فضلاً عن دعم قدادات جنُّوبية بارزة، انشقَّت من حكومة السلطة الشرعية، لمناوأتها السياسة السعودية والإماراتية في اليمن. ومن جهة ثالثة، دُعمت سلطنة عُمان تشكيل قوى قبلية محلية في مدينة المهرة معارضة للوجود السعودي، وتمويلها مالياً وإعلامياً. ومن جهة رابعة، بدت سلطنة عُمان أكثر حضوراً في دفع العملية السياسية، وذلك بضغط منّ أميركا، حيث زار وفد عُماني صنعاء قبل أكثر من شبهر، وإن لم يفض إلى تغيير موقف جماعة الحوثي من عمِلْية السلام. لكن في المجمل، بدت عُمَّان تشقُّ طريقها في

في كل الحالات، لا تبدو اليمن التي تعيش حربا بلا أفق يديرها وكلاء الإقليم، بأنها الضُّفة الآمنة التِّي قد يلتقي عندها الجاران اللدودان، اللذانّ هما مثلّ غيرهما لهما أطماع ومصالح في اليمن، إذ بدت سلطنة عُمان ترفض دور المتفرّج في الحفلة اليمنية، ومع احتمالية تقاربها مع السعودية في تحديد شكل سلطة ما بعد الحرب، والذي يضمن موقع جماعة الحوثي في السلطة مع شراكة الأطراف الأخرى، لضمان شكلِ ما من الاستقرار في الجوار اليمني، فإن الطموح السعودي في إيجاد منفذ إلَّى بُحر العرَّبّ من الأراضي اليمنية، بما في ذلك تعميق نفوذها في مدينة المهرة اليمتية، قد يجعل عُمان تبحث عن مداخل جديدة في اليمن، البلاد المحاطة بشر الأتباع والأسياد.



تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير حسام كنفاني • مدير التحرير ارنست خوري المدير الفني إميك منعم السياسة جمانة فرحات الاقتصاد مصطفہ عبد السلام - الثقافة نجوان درویش - منوعات لياك حداد ■ الراب معن البياري ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيك التليلي • تحقيقات محمد عزام • مراسلون نزار قنديك

المكاتب ■ المكتب الرئيس*ي، لندن* Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY Tel: 00442071480366 مكتب الدوحة الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ هاتف: 0097440190600

■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads

(كاتبة يمنية)